ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

الواقــع الطائفي والمذهبي في بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي
دراسة جغرافية وإحصائية

عبد الحفيظ دحدح

أستاذ مكون في التعليم الثانوي

باحث في التاريخ الحديث والمعاصر

ولاية برج بوعريريج – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

إن التنوع الطائفي والمذهبي ليس ظاهرة سيئة في حدّ ذاتها، ولا تكون دائمًا عاملاً في تفكيك الدول واندثارها، إذا تحققت الشروط التي تجعل من هذا التنوع عامل نماء وارتقاء، وفي مقدمة تلك الشروط طبيعة نظام الحكم السياسي الذي يجتهد لصهر المكونات الطائفية والمذهبية في نسيج اجتماعي متماسك، من خلال العدالة الاجتماعية وتوفير مناخ الحرية لجميع العناصر، وهوما تحقق في العصور الإسلامية الأولى، وأيضا خلال العهود الأولى من تاريخ الدولة العثمانية. تطرح ظاهرة التنوع الطائفي والمذهبي نفسها بقوة في واقعنا العربي والإسلامي الرّاهن. وتمثل بلاد الشام النموذج السيئ له - بأحداثه وتداعياته – وهو نموذج له جذوره في الماضي، نحاول في موضوعنا هذا البحث في واقعه خلال القرن (١٣ هـ/ ١٩م)، وهي فترة ازدهرت فيها التيارات السياسية والمذهبية وراجت بقوة، ووصل تأثيرها إلى هذه المنطقة ممّا أدّى إلى زعزعة الوضع الاجتماعي للدولة العثمانية وساقتها إلى التمزق والتفكك والزوال.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٣ فبراير ٢٠١٤

تاريخ قبـول النشـر: ٢٥ مايو ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

الإسماعيليون، النصيريون، الأرثوذكس، الكاثوليك، اليهود

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عبد الحفيظ دحدح. "الواقـع الطائفي والمذهبي في بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي: دراسة جغرافية وإحصائية".- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع والثلاثون: ديسمبر ٢٠١٦. ص٨٣ – ٩٠.

مُقَدِّمَةْ

لم يحدث في تاريخ الأمة الإسلامية، صراع طائفي ومذهبي يَسْتوجبُ الوقوف عنده - على الأقل من حيث مستوى خطورته وانتشاره وتأثيره - في أي فترة من فترات تاريخها، مثلما هو حاصل اليوم. فالمتغيرات الطارئة على مجتمعاتنا والموسُومة بعناوين مختلفة، أدّت إلى هزّة قوية أصابت النسيج الاجتماعي لبلدانا في الصميم، وأفرزت اعتناقًا سياسيًا غير مسبوقٍ للهويات الطائفية والمذهبية، عمقّت الشروخ الموروثة من الماضي. الأمر الذي جعل جمهور الأمة يقف عاجزًا عن فهم ما يُرادُ لهُ، وما يُرادُ منهُ، إلى الحدّ الذي أصبح فيه الانسياق وراء كل تحليل أو تفسير وارد لما يجري من أحداث ووقائع – مهما كان مصدرهما – هو السمة التي لا تُفارقه، فالمسألة الطائفية والمذهبية تحوّلت إلى بؤرة انشغال تُثيرُ الهواجس والمخاوف – لدى النُخبة - حول حاضر الأمة ومستقبلها، وعلاقاتها مع مُحيطها المُتنوع والمُتفوق سياسيًا وحضاريًا.

وبدافع الفضول العلمي– الذي يُلازم دومًا الباحث – وبناء المعرفة التي تستند إلى الحقيقة التاريخية، اخترت البحث والتنقيب في ماضي الطوائف والمذاهب المُشكلة للمجتمع الشامي خلال الفترة محل البحث. إذ يستعصي فهم حاضره - الذي أخذ منذ فترة ينحو منحى خطيرًا ومأساويًا - ما لم يُبحث

في جذوره من حيث التوزيع الجغرافي والإحصاء، وهما عاملان أصبحا يُستحضران لبناء مواقف سياسية راهنة صوب ما يحدث في هذه المنطقة من صراعات. ولعلّ تحديد هذه المرحلة الزمنية ناتجٌ عن خطورتها، بحكم أنها مرحلة أعقبت الحقبة التي شهدت ميلاد مختلف التيارات والمذاهب السياسية والفكرية، بعد الثورة الدستورية في إنجلترا (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)، والثورة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية (١١٨٦هـ/ ١٧٧٣م)، والثورة الفكرية في فرنسا (١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م). ولم يكن المجتمع الشامي آنذاك بعيدًا عن هذه التأثيرات؛ خصوصًا القومية منها، في ظل دولة عثمانية كانت تسير بخطى سريعة نحو الانهيار.

أولاً: السياسة الدينية العثمانية

إن أحد أخطر المعضلات التي تُواجه أيّ دولة ناشئة، هي بناء الأساس الاجتماعي للدولة؛ بمعنى تحقيق الاندماج بين العناصر الإثنية والسُلالية التي تقع في إقليمها. ولذا لم يَسْعَ العثمانيون في المراحل الأولى لدولتهم إلى تنمية الشعور بهويةٍ تُميزهم عن غيرهم وتستبعدُهُم عنهم، فكان أساس البناء الذي لجأ إليه العثمانيون هو الإسلام. فقد ارتكز نظام الحكم في الدولة العثمانية على الدين الإسلامي منذ مرحلة التأسيس، وكانت جميع أنظمتها وقوانينها مُستمدة من الشريعة الإسلامية[١]، ومع مرور الزمن، قادت الفتوحات التي خاضها العثمانيون شرقا وغربا إلى زيادة الحجم الجغرافي للدولة، وضم شعوبٍ جديدة، وبأعداد ضخمة، لا سيما منذ عهد السلطان سليم الأول[٢]. وهو الواقع الذي نتج عنه تنوع المجتمع العثماني في تراكيبه وأقلياته الإثنية.

ساد التسامح الديني والتعايش السلمي بين مختلف الطوائف المذهبية والدينية في المجتمع العثماني، ولم يكن بينها أي تمايزات دينية ومذهبية، "فلقد كان التُجار والحرفيون – مثلاً– من مسلمين وغير مسلمين ينتمون إلى طبقة واحدة ومستويات واحدة، يتمتعون بحقوق واحدة ومشتركة، مع التبايُن الجُزئي في الواجبات الدينية فقط".[٣] ولم يكن هناك انفصالاً مناطقيًا بين السكان في المدينة العثمانية، وإن وُجد؛ فمردُهُ التخطيط الأوّلي للمدينة الذي فرض توزيعًا معينًا لكل طائفة دينية، حيث يكثُرُ أتباع الطائفة أمام مراكز عباداتهم، فالمسلمون مثلاً كانوا يتركزون حول المساجد، وهو الأمر عينُهُ بالنسبة للطوائف الأخرى.[٤]

اعتمد بناء المجتمعات منذ العصور الوسطى على نظام الطائفية الدينية، وهو النهج الذي ظلّ ساريًا إلى غاية القرن (١٣هـ/ ١٩م)، على إثر مُتغيرات ما بعد النهضة والثورات الصناعية والسياسية. وفي بلاد الشام، استند تنظيم المجتمع على الطائفية الحِرفية والمِهنية ذات البُعد الاقتصادي، حيث كانت تجمع أهل الحرفة الواحدة من كل الطوائف والمذاهب؛ والطائفية الدينية، وهذا بناءً على ما نَصّ عليه نظام الملّة.[٥] وهذا الترتيب الطائفي هو الذي أحال أتباع كل طائفة –سواء الطائفية الاقتصادية أو الدينية – إلى الرئيس والشيخ، يسهر على رعاية أمرها، والاهتمام بمشاكلها ونقل همومها إلى ممثلي السلطة العثمانية. ممّا أعطى حرية شبة كاملة للمؤسسات الدينية لكل طائفة في العمل وفق آلياتها الداخلية، حتى أنها تحولت مع مرور الزمن إلى دولٍ داخل الدولة،[٦] وأضحى هذا التدبير مجرى سياسي غربي يقودُ إلى المصالح السياسية والاقتصادية. وقد كان للطائفية الدينية دور بارز في تاريخ الدولة العثمانية عامة وبلاد الشام خاصة، نظرًا للتنوع الطائفي الكبير المرتبط أساسًا بالديانات السماوية الثلاث من جانب والامتدادات والتحالفات الخارجية الخاصة بكل طائفة من جانب آخر.

ثانيًا: المُكونات الطائفية[٧] والمذهبية[٨] لبلاد الشام[٩]

تمثل بلاد الشام نموذجًا للتنوع الطائفي والمذهبي، إذ يكاد لا يوجد نظير في العالم لهذا التنوع، ويرجع ذلك إلى أن هذه المنطقة كانت على مرّ التاريخ خزّان الديانات، ومقر مقدساتها. زيادة على ذلك شهدت صراعات بين مختلف القوى السياسية، سواء المحلية أو الخارجية أدّت إلى توافد وتدفُق الكثير من الأعراق السلالات والمذاهب الدينية إليها. وقد بلغ إجمالي عدد السكان في هذه الفترة أزيد من مليوني ومائتين وخمس وأربعون ألف نسمة.[١٠]

١/٢- المسلمون:

كانوا يمثلون ثُلثي السكان[١١] في بلاد الشام، أي أزيد من مليون نسمة[١٢] ولكونهم على الديانة نفسها الرسمية للدولة، وضع العثمانيون ثقتهم فيهم. وقد انقسموا إلى مذاهب مختلفة، نوردها كالتالي:

(١/٢) ١- المسلمون السُنة

شكلوا القطاع الأكبر من رعايا الدولة، وأغلبيتهم كانوا من العرب والأتراك والأكراد،[١٣] وبينما اعتنق أغلب العرب المذهب الشافعي، اعتنق الأتراك والأكراد المذهب الحنفي – مذهب الدولة الرسمي[١٤] - في حين توزع سُكان البوادي بين المذهبين المالكي والحنبلي، أما من حيث توزيعهم الجغرافي الأساسي؛ فقد انتشروا في الأطراف الشرقية لحدود فلسطين الشمالية، ولواء دمشق ومدن: بيروت، طرابلس، صيدا، بعلبك، عكا والبقاع. وبلغ تعدادهم في أواخر القرن (١٣هـ/ ١٩م) حوالي مليون نسمة؛ منهم مائتي ألف في كامل سوريا، وبين ثمانين ومائة وعشرين ألفًا في دمشق.[١٥]

(١/٢) ٢- المسلمون الشيعة:

(٢/١/٢) **١- المتاولة:**[١٦] هم شيعة على المذهب الاثنى عشري[١٧]، ويأتون في المرتبة الثانية عددًا من حيث المذهب في بلاد الشام.[١٨] وانتشر هؤلاء بالخصوص في سلاسل لبنان الجبلية، الخليل وسمرية. زيادة على بعلبك وأقاليم بشارة، شومار، صيدون وعكا.[١٩] وقُدّر عددهم بحوالي ستون ألف نسمة،[٢٠] منهم خمسة عشر ألفًا في سوريا،[٢١] وعشرون ألفًا في لبنان.[٢٢] ونُشير هنا إلى أن السلطة العثمانية – على الرغم من الحرية التي منحتها للطوائف – نظرت إلى فرق الشيعة، ولا سيما الاثنى عشرية نظرة حذر وريبة.[٢٣]

(٢/١/٢) ٢- **الإسماعيليون:**[٢٤] بدأ حضورهم في بلاد الشام منذ القرن (٦ هـ/ ١٢م)، بعد ان انتقلوا إليها من معاقلهم الرئيسية في أصفهان وقلعة ألموت في إقليم طبرستان على سواحل بحر قزوين[٢٥]؛ وانتشرت غالبيتهم في شمال شرق مدينة حمص. بلغ عددهم في بلاد الشام أواخر القرن (١٣ هـ/ ١٩م) حوالي مائة وخمسون ألف نسمة، منهم أربعة آلاف في سوريا.[٢٦]

(٢/١/٢) ٣- **النصيريون (العلويون):**[٢٧] يتركزون بشكل أساسي في جبل النصيرية بلبنان، والمناطق الجنوبية من دمشق،[٢٨] وكذا المناطق الجبلية المحاذية لمدن الساحل مثل طرابلس، طرطوس واللاذقية، أمّا خارج هذا النطاق، فهم مجموعات قليلة. وبسبب وضعهم الجغرافي والضّيق الاقتصادي في هذه المرحلة، اتجهوا نحو الامتناع عن دفع الضرائب، ممّا تسبب في تسيير حملات تأديبية ضدهم[٢٩]. وقد بلغ عددهم في بلاد الشام سنة (١٢٤٦ هـ/ ١٨٣١م) حوالي مائة وثلاثون ألف نسمة، منهم خمسة وسبعون ألفًا في سوريا.[٣٠]

(٢/١/٢) ٤- **الدورز:**[٣١] كان أوّل مَنْ نشر عقائد الدروز في بلاد الشام هو محمد بن إسماعيل الدرزي، بعد خروجه هاربًا من مصر بسبب مواقفه الدينية، ومن جنوب لبنان توسعت الدعوة الدرزية[٣٢]. يعيش هؤلاء في جبال لبنان، الشوف والمتن[٣٣]، وفي المناطق الساحلية في صيدا، صعودًا إلى البقاع وراشيا[٣٤]. وفي سوريا يتمركزون في جبل حوران وقرى أنطاكية وبعض أقاليم فلسطين. بلغ عددهم حوالي ثمانون ألف نسمة، منهم خمسة وخمسون ألف في لبنان.[٣٥]

٢/٢- المسيحيون:

عندما ظهرت المسيحية، - وبلاد الشام هي مهدها - اعتنق عدد كبير من سكانها هذه الديانة، ولكن الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام؛ مزقت الديانة المسيحية، وقسمتها إلى عدة مذاهب مختلفة. ومن ثَمَّ تحول معتنقوا هذه المذاهب إلى فرق متطاحنة ومتصارعة – في مراحل كثيرة من تاريخ الديانة المسيحية - كل واحد منها يريد أن يثبت أن إيمانه هو الإيمان الصحيح، ونتج عن هذا الصراع عداء مذهبي ترك آثارًا سلبية واضحة في تاريخ بلاد الشام، لا تزال بعض ملامحه ماثلة إلى يومنا هذا. ولقد تمتعت هذه الطائفة الدينية بالحماية من طرف السلطة العثمانية، ومُقابل ذلك كان أتباعُها يحترمون ويُقدّرون سيادة الإسلام.[٣٦] وقد بلغ عدد المسيحيين الاجمالي في بلاد الشام حوالي ثلاثة آلاف وخمسة وسبعون ألف نسمة.[٣٧] وأكبر تجمعاتهم كانت في دمشق، حيث بلغ عددهم سنة (١٢٧٦ هـ/ ١٨٦٠م) حوالي اثنان وعشرون ألف نسمة[٣٨]؛ وفي بيروت حوالي أربعون ألفا[٣٩]؛ أما في حلب فقد كانوا يمثلون حوالي (١٠%) من السكان،[٤٠] وهم يتوزعون بين مختلف الفرق المسيحية[٤١].

(٢/٢) ١- الأرثوذكس: اعتنق غالبية سكان بلاد الشام هذا المذهب،[٤٢] وهم ينتمون إلى أعراق مختلفة، نبيّنُها فيما يلي:

- **الروم الأرثوذكس:** كان لهم بطريركيتان، الأولى في القدس، والأخرى في دمشق؛ التي كانوا يملكون فيها سبعة عشر كنيسة، أقدمها كنيسة المريمية[٤٣]، وكنيسة ماري يوحنا التي شيدتها روسيا سنة (١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م).[٤٤] وكان قادة الكنيسة يُختارون من العرق اليوناني، ويستخدمون اللغة اليونانية في عباداتهم وصلواتهم. الأمر الذي أدّى إلى صراعات عنيفة، واحتجاجات من طرف مسيحيي الشام الأرثوذكس، فتمّ تعريب هذه الكنيسة في (١٣هـ/ ١٩م). وقد بلغ عددهم حوالي مائتين وأربعون ألف نسمة، موزعين كأقليات على مدن: دمشق، حمص، حماة، حلب، اللاذقية طرابلس، عكا، الناصرة وبيت لحم[٤٥]، كما شكّلوا غالبية مسيحيي القدس خلال هذه الفترة.[٤٦]
- **الأرمن الأرثوذكس:** ينحدرون من أرمينيا العثمانية، وقد ظهروا بعد انقسام الأرمن بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية في القرن (١١هـ/ ١٧م). ويملكون كنيسة في دمشق تُعرف باسم "مار سركس". وقد توزّعوا في حلب، ودمشق، وبيروت، وطرابلس، وتراوح عددهم خلال الفترة (١٢٨٦- ١٣٠٧ هـ/ ١٨٧٠-١٨٩٠م) بين ثمانين وخمس وثمانين ألف نسمة.[٤٧]
- **اليونانيون الأرثوذكس:** يعتبر اليونانيون على اختلاف مذاهبهم من أقدم السكان في سوريا، وهم يُشكلون أكبر تجمُع سكاني مسيحي فيها. بلغ عددهم في لبنان حوالي ثلاث مائة وخمسون ألف نسمة – ويحتلون المرتبة الثانية من حيث العدد بعد الموارنة[٤٨]- يتمركزون بالخصوص في جبل لبنان[٤٩]، وأيضًا حلب التي عاش فيها حوالي عشرة آلاف نسمة[٥٠]. وأقليات أخرى منهم في صيدا وبيروت[٥١].
- **السريان الأرثوذكس:** يتحدثون اللغة السريانية[٥٢]، ويتبعون البطريرك المُقيم في دير الزعفران قرب ماردين[٥٣]. بلغ عددهم حوالي ثمانون ألفا نسمة[٥٤]، ويتمركزون في مدينة حلب[٥٥].

زيادة على هذه الطوائف المسيحية المُتباينة مذهبيًا وعرقيًا؛ وُجدت أخرى تنتمي إلى المذهب الأرثوذكسي، على غرار الأقباط والأحباش الأرثوذكس في القدس.[٥٦]

(٢/٢) ٢- الكاثوليك: هم أكثر المسيحيين انتشارًا وتعدادًا في بلاد الشام، ويرتبطون بالكنيسة اللاتينية في روما وإرسالياتها اليسوعية، خاصةً في مجال التعليم[٥٧]. وقد تزايدت أعدادهم على إثر انشقاقهم عن الكنيسة الأرثوذكسية بتحريض من رهبان الكنيسة الرومانية، وقناصل فرنسا[٥٨]. وبلغ تعدادهم في سنة (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) حوالي سبعة عشرة ألف نسمة، وهم يتركزون في حلب ودمشق،[٥٩] وانقسم الكاثوليك بدورهم إلى مذاهب شتى، تختلف في طقوس عباداتها:

- **الموارنة:** هم السكان الأصليون الذين حافظوا على عقيدتهم[٦٠]. ينتسب هؤلاء إلى السريان السوريين، وتسمّوا بالموارنة نسبة إلى الرّاهب "مار مارون"، الذي عاش في القرن الرابع الميلادي شمالي حلب[٦١]؛ وقاد الموارنة خلال الفتح الإسلامي[٦٢]. وقد تعاونوا مع الحملات الصليبية، وتحوّلوا منذئذ إلى حلفاء لفرنسا التي تتولى حمايتهم[٦٣]. وكان الموارنة يعتنقون المذهب الأرثوذكسي ثم تحوّلوا إلى الكاثوليكية[٦٤]. وقد بلغ عددهم سنة (١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠م) أزيد من خمس مائة ألف نسمة[٦٥]؛ منهم حوالي مائتين وثمانية آلاف نسمة في لبنان[٦٦] تواجدوا بقوة في جنوبه ورغم ذلك خضعوا لسلطة الدروز.[٦٧] هذا إضافة إلى وجودهم الكبير في منطقة الغزير بدمشق؛ وأيضًا في بعلبك، معرّة النعمان، حمص وحماة وكسروان.[٦٨]
- **الأرمن الكاثوليك:** بلغ تعدادهم في دمشق سنة (١٢٦٨ هـ/ ١٨٥٢م) حوالي ست مائة وأربعون ألف نسمة ثم تقلّص هذا العدد إلى خمس مائة وتسعين ألفًا بسبب ارتحالهم إلى حلب سنة (١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩م).[٦٩]
- **الروم الكاثوليك:** انشقوا عن الكنيسة الأرثوذكسية سنة (١١٣٦ هـ/ ١٧٢٤م)، وبرزت هذه الطائفة بعد اعتراف السلطة العثمانية بها في (٣ ذو القعدة ١٢٤٨ هـ/ ٢٤ مارس ١٨٣٣م) إثر تدخل فرنسا والنمسا.[٧٠]
- اليونانيون الكاثوليك: هم من أصول عربية صرفة،[٧١] وبلغ عددهم في سوريا سنة (١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠م) حوالي سبعون ألف نسمة.[٧٢] ولكن انتشارهم كان بشكل كبير في لبنان، إذ وصل عددهم إلى مائة وستون ألف نسمة ويتركزون بالخصوص في زحلة وبيروت.[٧٣]
- **السريان الكاثوليك:** ظهروا كفرقة دينية سنة (١٢١٤ هـ/ ١٨٠٠م) إثر انفصالهم عن الكنيسة السريانية بدفعٍ من المطران "ميخائيل جروه"[٧٤]، قارب عددهم أربعين ألفا نسمة، ويتركزون أساسًا في حلب، وفي منطقة معرة النعمان وملولة بضواحي دمشق،[٧٥] كما تواجدوا في حمص وحماة[٧٦].
- **اللاتين الكاثوليك:** اللاتين هم بقايا الحروب الصليبية في بلاد الشام،[٧٧] طائفة قليلة العدد، فلم يتجاوزوا أربعة آلاف نسمة، وقد ظهرت سنة (١٢٦٣هـ/١٨٤٧م) بقيادة البطريرك "يوسف فالرجا".[٧٨]

(٢/٢) ٣- البروتستانت: بدأت هذه الطائفة في الانتشار في بلاد الشام انطلاقًا من بيروت منذ سنة (١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م)، هذا على الرغم من الرفض الذي أبدتهُ السلطة العثمانية والمجتمعين المسلم والمسيحي لهذا المذهب؛ لكنها نَمَت وازدهرت بعد دخول محمد علي بلاد الشام سنة (١٢٤٦ هـ/ ١٨٣١م)؛[٧٩] فاجتهد أتباعهُا في تشييد الكنائس، فبنوا كنيسة في دمشق سنة (١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٤م)، وأخرى في (١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٨م)، ولم يتجاوز عددهم السبعين شخصًا في سنة (١٢٦٨ هـ/ ١٨٥٢م)، ثم تناقص عددهم ليصل سنة (١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩م) إلى سبعة وستين شخصًا فقط.

ثالثا: اليهود

انتشر اليهود في كامل البلاد العربية منذ عهود قديمة، وكان لوجود الدولة العثمانية أثر إيجابي على وضع اليهود الذين احتموا بها بعد عمليات الطرد الممنهج الذي انتهجه الإسبان ضدهم وضد المسلمين، وكان اليهود يعيشون في داخل أحياء مغلقة في المدينة العربية لكنها قريبة من مركز المدينة الاقتصادي. وقد انتشر اليهود في البلاد العثمانية على اعتبار أنهم من أهل الذمة، وكانت طائفتهم تضم مهاجرين ومستوطنين بينما ينتمي اليهود العرب إلى " يهود الاشكنازيم". وتمركز اليهود في مدينة دمشق، لا سيما في الحي الذي يحمل اسمهم "حي اليهود". وبلغ تعدادهم بها سنة (١٢٧٦ هـ/ ١٨٦٠م) حوالي أربعة آلاف نسمة،[٨٠] كما عاشوا في القدس، ويافا، وحيفا، وبيروت، وصيدا،[٨١] وبلغ عدد اليهود في صفد خمسة عشر ألف نسمة،[٨٢] وكان يهود بلاد الشام يتبعون حاخامات القدس الذين يمثلون أعلى سلطة دينية في الشرق.[٨٣]

خاتمة

إن ما طمح إليه هذا المقال، هو متابعة الواقع الطائفي والمذهبي في بلاد الشام في مرحلة حسّاسة ودقيقة من تاريخ الدولة العثمانية، وقد قادنا إلى جملة من الاستنتاجات، يمكن حصرها في النقاط التالية:

- التسامح الديني العثماني الذي انعكس إيجابا على كل الطوائف والمذاهب، رغم ما كان يبدُرُ -أحيانًا- من المسؤولين المحليين من تعسف وتصرفات منحرفة، إلا أنها لم تكن تعبر مطلقًا عن المواثيق التي وضعتها الدولة والتزمت بها تُجاه رعاياها في مختلف أطوار تاريخها.
- إن التنوع المذهبي داخل الطائفة الواحدة كان يتسبب في أزمات ومشاكل وصلت في خالات كثيرة إلى صراع دامي أثّر بشكل كبير على الأمن والاستقرار في المجتمع العثماني.
- إنّ حركة الاصلاحات العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي زادت في تقوية الروابط داخل الطائفة الواحدة، رغم أن هذه الاصلاحات كانت محاولة لبناء رابطة تُوحد عناصر المجتمع المتنوعة ضمن الانتماء العثماني. فقد أضحت الأقليات – نتيجة تلك الاصلاحات- حرّة في تسيير شؤونها الداخلية وبناء مؤسساتها وتكوين هوية مستقلة سرعان ما تحركت صوب مطلب الاستقلال والانفصال.
- دعّمت كل طائفة في بلاد الشام ارتباطها بالقوى الأجنبية – التي كانت تؤجج الصراع بين عناصر هذا التكوين الطائفي والمذهبي- لتحقيق رغبتها في الاستقلال الذي أضحى مصلحة خاصة وحيوية تفرضها المصالح السياسية للطائفة، ولا زالت هذه الارتباطات الخارجية لحد اليوم هي التي تُحدد واقع الطائفة وموقفها السياسي من القضايا التي تعُج بها بلاد الشام ومحيطها.

الملاحق:

جدول يُجمل أتباع كل طائفة ومذهب في بلاد الشام خلال القرن (١٣ هـ/ ١٩م) [٨٤]

الوحدة	نسمة
المسلمون السنة (عرب، أكراد)	١.١٠٠.٠٠٠
المسلمون السنة (أتراك)	٨٠.٠٠٠
الموارنة	١٨٠.٠٠٠
اليونان الكاثوليك	٦٥.٠٠٠
اليونان الأرذوذكس	٥٥.٠٠٠
الأرمن	٣٥.٠٠٠
الأرمن الكاثوليك	٤٥.٠٠٠
المتاولة	٣٥.٠٠٠
اليهود	٧٥.٠٠٠
بروتستانت	١.٥٠٠

الهَوامِشُ:

(١) أكمل الدين احسان اوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ و حضارة**، ترجمة صالح سعداوي، ج ٢، إرسيكا، استانبول، ١٩٩٩، ص ١٦١. وعبد الفتاح حسن أبو علية، **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير**، دار المريخ للنشر، الرياض، د.ت.ن، ص ٦٧.

(٢) **سليم الأول**: سلطان عثماني حكم في الفترة (٩١٧- ٩٢٦ هـ / ١٥١٢-١٥٢٠م). أجبر والدهُ السلطان بايزيد الثاني على التنازل عن العرش، هزم الشاه الصفوي إسماعيل في معركة تشالديران (٩١٩ هـ/ ١٥١٤م)، قضى على دولة المماليك (٩٢١ هـ/ ١٥١٦م). انظر: ابن عماد شهاب الدين الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، مج ١٠، ط١، دار ابن كثير دمشق- بيروت، ١٩٩١، ص ٥٨٠ -٥٨١؛ منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٤١.

(٣) محمد سيّار الجميل، **بقايا وجذور التكوين العربي الحديث**، ط ١، الأهلية للنشر و التوزيع، عمّان، ١٩٩٧، ص ٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٤.

(٥) بعد أن وجدَ العثمانيون أنفسهم - بعد اتساع فتوحاتهم - يُديرون مناطق شاسعة، تعيش فيها طوائف غير إسلامية، استقرّ الرأي عند السلطان محمد الثاني المُلقب بالفاتح، والذي حكم في الفترة (٨٤٨-٨٥٠هـ/١٤٤٤-١٤٤٦م) و(٨٥٥-٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م) على إصدار هذا النظام؛ الذي قسّم رعايا الدولة إلى طوائف حسب دينها. وقد منَحَ بموجبه لرجال الدين المسيحيين سلطة تدبير شؤون أتباعهم في الأمور الدينية والتعليمية و الأحوال الشخصية، بعيدًا عن تدخل السلطة العثمانية، ماعدا استحصال الضرائب وجمعها. وكان الغرض من هذا التدبير؛ هو بناء توازن بين الطوائف وترسيخ حقوقها. لكن هذا التدبير تحوّل منذ بداية مرحلة الانحطاط إلى نظام للأقليات القومية، بعد تدخل الدول الأوربية وفرضها للامتيازات، التي أضحت حَقًا – وليس امتيازًا - تُطالب بها هذه الدول. انظر: حسين العودات، **العرب النصارى (عرض تاريخي)**، ط ١، دار الأهالي للنشر و التوزيع، دمشق، ١٩٩٢، ص١٥٥-١٥٦.

(٦) وجيه كوثراني، **السلطة و المجتمع و العمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام**، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٨، ص ٦٩.

(٧) **الطائفة**: الجماعة أو الفرقة التي يجمع بين أفرادها رابطُ يُميّزها عن غيرها. انظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٥٧١.

(٨) **المذهب**: المُعتقد و الطريقة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج ١، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن، ص ٢٦٦٥؛ جُبران مسعود، **الرائد**، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٢٦. من خلال التعريفين يبدو لنا أنّ مفهوم الطائفة أوسع وأشمل من مفهوم المذهب من حيث الدلالة الدينية.

(٩) بلاد الشام (سوريا): يحُدُ هذا الإقليم شمالا آسيا الصغرى، و جنوبًا بلاد العرب، و شرقًا نهر الفرات والصحراء، وغرًبا البحر الأبيض المتوسط تبلغ مساحته مائة ألف كلم٢. انظر: محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، مج ٥، ط ٣، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت ١٩٧١ ص٣٢١.

(10) M. L'abbé Jobin, **La Syrie en 1860 et 1861 LETTRES ET DOCUMENTS**, L. LEFORT IMPRIMEUR - LIBRAIRE, 1862, p 7.

(11) Nadra Moutran, **La Syrie de demain**, Libraire plan, Paris, 1916, p 29.

(12) JOBIN, op.cit, p 7.

(١٣) احسان اوغلي، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(١٤) يتسمُ المذهب الحنفي بخصائص أكسبتهُ طابعا حركيا يُمكّنُهُ من التكيُف مع الواقع. فهو يعتمد على التيسير لا التعسير. كما أن صبغتُهُ في التسامح مع الآخر، تركت أثرها في نفوس الأتراك السلاجقة – وهو كان مذهب المعاملات في الدولة العباسية - إلى جانب ذلك، فهو يُجيز تولي أمور المسلمين لغير العربي القُرشي؛ ولذا اختاروا هذا المذهب دون غيره، وورث العثمانيون هذا الأمر عنهُم. انظر: كمال السعيد حبيب **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية**، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٣٨-٢٤٠؛ مصطفى الشكعة، **إسلام بلا مذاهب**، ط ١١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤٢٠.

(15) Louis De Baudicour, **La France au Liban**, E-Penta libraire, paris, 1879, p 13.

(١٦) **المتاولة**: لقب مُشتق مَنْ " تولّى" أي اتخذ ولياً، لأنهم تولوا آل البيت النبوي، بمعنى اتخذوهم أولياء. وهو لقب عُرف به شيعة الشام وجبل عامل وجبل لبنان وبعلبك منذ القرن (١١هـ/ ١٧م). والتشيُع في هذه المناطق أقدم منه في العالم، ما عدا الحجاز. انظر: لوثروب ستودارد **حاضر العالم الإسلامي**، تعريب عجّاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، مج ١، ج ١، ط ٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م.ن ١٩٧٣، ص ١٩٣-١٩٤. ويُرجع محمد فريد وجدي أصولهم إلى بلاد فارس. انظر: محمد وجدي، مج ٥، مرجع سابق، ص ٣١٢.

(١٧) المذهب الاثنى عشري: تعتقد هذه الفرقة الشيعية أن الإمامة تكون في ذرية فاطمة الزهراء بنت النبي (ص)، وهي محصورة في اثنى عشر إمامًا يتوارثون الإمامة بالوصاية، وهم منصوص عليهم من النبي (ص). وتبدأ الإمامة بعلي بن أبي طالب، وتنتهي بمحمد بن الحسن العسكري الذي دخل سردابا في بيت أبيه بسر من رأى (سامراء في العراق)، ولم يَعُد، وهو يُنتظَرُ إلى اليوم. ومصدر فِقههم هو جعفر الصادق، الإمام السادس. ولهذا تُسمى هذه الفرقة أيضًا بالجعفرية. انظر : الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، تصحيح أحمد فهمي محمد، ج ١ ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٧١؛ أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ك ١، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.ن، ص ٢٦٥؛ حسين محمد نصار وزملاؤه، **الموسوعة العربية**، ط ٣، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠٠٩، ص ٩٩؛ مجمع اللغة العربية، **المُعجم الكبير**، ج ٤، ط ١، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٣٤٦.

إن من بين أحسن ما كُتب حول المذهب الاثنى عشري، من حيث تاريخه وأصوله وعقائده، وما يُقابلها لدى جمهور أهل السنة، هو كتاب علي أحمد السالوس، **مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع (موسوعة شاملة)**، ط ٧، مكتبة دار القرآن القاهرة، ٢٠٠٣.

(18) De Baudicour, op.cit, p 30.

(19) Le Vicomte De Basterot, **" Le Liban, La Galilée et Rome "**, journal d'un voyage en orient et en Italie, septembre 1867-mars 1868, Charles Douniol, Libraire-Editeur, Paris, p79-80.

(20) De Baudicour, p 30.

(21) E.Dentu (Paris), **"La syrie devant l'Europe"**, Bibliothèque nationale de France, paris 1861, p13.

(22) Jobin, op.cit, p 7.

(٢٣) كوثراني، مرجع سابق، ص٦٧. لا يمكن تفسير هذا السلوك إلى العامل المذهبي، فقد عاش الشيعة الاثنى عشرية في أرجاء الدولة العثمانية خصوصًا في الأناضول بسلام، قبل تأسيس الدولة الصفوية (٩٠٦ هـ/ ١٥٠١م). ولذلك يبدو أن التحالف السياسي الذي كان يربط هذه المجموعة المذهبية بالدول التي نشأت في بلاد فارس (إيران)، وفي مقدمتها الدولة الصفوية، هو الذي كان سببًا في هذه الريبة والتوجس العثماني، ولا تزال صور هذا التحالف قائمة حتى يومنا هذا.

(٢٤) **الإسماعيليون:** فرقة شيعية تقف في تسلسل الأئمة عند إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي توفي في حياة أبيه – ويؤمن بعضهم بأنه حيُ لم يمُت وبعضهم الآخر يعتقد بأنه مات وعاش بعد موته. وهو اليوم حيُ مُستتر، وسوف يظهرُ ليملأ الأرض عدلا كمت مُلئت جورًا – ولذا سُمّوا بالشيعة السبعية. ومن بين أهم عقائدهم، أنّ لكل نص ديني معنيان: معنى ظاهرًا يفهمُهُ عامة الناس، ومعنى باطنا، لا يقدر على فهمه إلاّ الأئمة وقد تمكّن الإسماعيليون من تأسيس عدة دول في التاريخ الإسلامي. انظر: الحاج يوسف خليل محمد، **الأنباء الخفية عن الشيعة العلوية**، ط ١، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٩٦، ص١٧٩؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ص ١٧٠.

(٢٥) محمود محمد الحويري، **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد**، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٢-٣٤.

(٢٦) عبد الرزاق عيسى، **التنصير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤- ١٩١٤**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٧-٢٩.

(٢٧) **النصيريون:** من غُلاة الشيعة، ينيسبون أنفسهم إلى نُصير غلام علي بن أب طالب رضي الله عنه، غير أن الأغلب هو انتسابهم إلى مؤسس الفرقة محمد بن نصير النميري البصري، وهو من بلاد فارس، توفي في ٢٧٠ هـ. ويوجد رأي آخر يُرجع تسميتهم تلك إلى جبل النصيرية الذي احتموا به هربا من الصراعات الطائفية الدامية التي كانت تقع بين الحين والآخر. وهم يفضلون تسمية العلويين الحديثة التي ارتبطت بالاستعمار الفرنسي على تسمية النُصيريين. ومن أهم عقائدهم أنّ علي بن أبي طالب إله أو قريب من الإله؛ كما يحتفظ أتباعها بأسرار عقيدتهم، ومن يُفشِها يُقتل. انظر: عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط ١، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٩٤؛ الشكعة، مرجع سابق، ص ٣٢٣؛ محمود إسماعيل، **فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني**، ط ١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٤٣؛ أبو زهرة محمد **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ك ١، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.ن، ص ٥٣؛ الحويري مرجع سابق، ص ٤٣؛ محمد وجدي، مج ١٠، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(٢٨) عبد الرزاق عيسى، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢٩) كوثراني، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٧.

(30) E. Dentu (Paris), op.cit, p 21.

(٣١) **الدروز:** فرقة إسماعيلية، يُخفي أتباعها عقائدهم عن غيرهم من المسلمين، نشأوا خلال العصر الفاطمي. ومحور عقيدتهم هو الخليفة الفاطمي أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله المُلقب بالحاكم بأمر الله. وقد ارتبطوا تاريخيا بشخصين: الأول هو محمد بن إسماعيل الدّرَزي بفتح الدال المُشددة وفتح الراء؛ وهوكان أحد الدّاعين لتأليه الحاكم بأمر الله؛ الخليفة الفاطمي. والشخص الثاني هو أبو منصور أنو شتكين والذي كان أحد قادة الحاكم بأمر الله، ولا يزال الدروز يُجِلونهُ لحد اليوم. يُؤمنون بحُلول الإله في نفس الإمام، وعبادته واجبة. ويُنكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله. أما علومهم الدينية فهي غير مطبوعة، ولا يُطالعها إلا العُقال منهم، وهم الذين يعرفون الأمور الدينية؛ امّا الذين لا يعرفونها فيُطلق عليهم اسم الجهال. ويُفضل الدروز أن يُطلق عليهم اسم الموحدين. انظر: بطرس البُستاني، **دائرة المعارف**، مج ٧، د.ن بيروت، ١٨٧٦، ص ٦٧١-٦٧٧؛ محمد وجدي، مرجع سابق، مج٤، ص ٢٦- ٣٨؛ الشكعة، مرجع سابق، ص ٣٦٠؛ محمود إسماعيل، مرجع سابق، ص ٧٩؛ أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٥٤. وللمزيد من التفصيل حول الدروز ومعتقداتهم، يُراجع: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة المُيسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المُعاصرة**، ص ٣٨٣ وما بعدها.

(٣٢) الحويري، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٣٣) الشكعة، مرجع سابق، ص ٢٦١.

(34) E. Dentu (Paris), op.cit, p 21.

(35) Le .P. Joseph Besson, **La Syrie et la Terre Saint Au XVI siècle**, victor palmé libraire, Paris p10; Jobin, op.cit, p 7.

(٣٦) أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص ٨١.

(37) Jobin, op.cit, p 6.

(٣٨) المرجع السابق، ص ٨٢-٨٦.

(٣٩) لورنيت، **أرض الذكريات ٣٠٠ لوحة رائعة من القرن الماضي (سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن)**، ط٢، شركة لمطبوعات للنشر والتوزيع بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٤.

(٤٠) أندريه ريمون ، ص ٨٢.

(٤١) للمزيد من التفصيل حول المذاهب المسيحية: تاريخها، نشأتها، عقائدها واختلافاتها. يُراجع: محمد وجدي، مج٢، مرجع سابق، ص١٦٤- ١٨٠.

(٤٢) عبد العزيز محمد عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤** م، تقديم أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن ص ٦.

(٤٣) عبد الرزاق عيسى، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٤٤) المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٤٥) عبد الرزاق عيسى، ص ٥٤.

(٤٦) أحمد القضاة، **"الطوائف المسيحية في القدس"**، مجلة فلسطين، ع١٨، تشرين الأول ٢٠١١، دار العروة الوثقي، بيروت، ص ٢٠.

(٤٧) نفسه، ص ٥٥-٥٦.

(48) De Baudicour, op.cit, p 7- 8.

(49) Moutran, op.cit, p 354.

(50) Le .P. Joseph, op.cit., p37.

(51) De Baudicour, p15.

(52) Moutran, p 390.

(٥٣) عبد الرزاق عيسى، مرجع سابق، ص ٥٧.

(54) Moutran, p 390.

(55) T.W.M.Marshall, **Les Missions Chrétiennes**, Ambroise Bray libraire-éditeur, paris, 1865. p 51.

(٥٦) ينتمي الأحباش إلى الكنيسة الأرذوذكسية الشرقية، استعانوا في البقاء ببلاد الشام بملك الحبشة النجاشي يوحنا، الذي كان يُمدهم بالمال اللازم لعيشهم. وتركزوا بالخصوص في القدس. انظر: أحمد القضاة، مرجع سابق، ص ٢٠. عبد الرزاق عيسى، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٥٧)عبد الرزاق عيسى، ص ٤٥.

(٥٨) أندريه ريمون، مرجع سابق، ص ٨٤.

(59) M.Marshall, op.cit, p 51-52.

(60) Jobin, op.cit, p 4.

(٦١) الحويري، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٦٢) يَصِفُ JOBIN الفتح الإسلامي بـ "L'nvation arab"، أي الغزوالعربي. ونُشير هنا إلى أنه رجل دين مسيحي عاش في الفترة محل الدراسة، وألّف كتابه دفاعًا عن الموارنة الذين كانوا أشد الطوائف التي عانت من الاضطهاد من السلطة العثمانية وبقية الطوائف – وفق ما ذكره - وفي مقدمتها الدروز والسُنّة. انظر: JOBIN, op.cit. p 4.

(63) Ibidem.

(٦٤) عبد العزيز عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(65) De Baudicour, op.cit., p 5.

(66) M.Marshall, op.cit., p 82; الحويري مرجع سابق، ص ٧٩

(67) De Baudicour, p 12.

(68) De Basterot, op.cit., p73; JOBIN, op.cit., p 4.

(٦٩) عبد العزيز عوض، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٧٠) عبد الرزاق عيسى، مرجع سابق، ص ٥٠؛ أحمد القضاة، مرجع سابق، ص ٢٠.

(71) Moutran, op.cit, p 369.

(72) De Baudicour, op.cit, p 7.

(73) Ibidem, p 15.

(٧٤) عبد الرزاق عيسى، ص ٥١.

(75) Moutran, p 390.

(٧٦) المرجع السابق، ص ٥١.

(٧٧) أحمد القضاة، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٧٨) عبد الرزاق عيسى، ص ٥١-٥٢.

(٧٩) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٨٠) أندريه ريمون، مرجع سابق، ص ٥١.

(٨١) نفسه، ص ٥٦.

(82) Moutran, pp 147- 149.

(٨٣) عبد الرزاق عيسى، ص ٥٩.

(84) Edwards, Richard, **La Syrie 1840-1862, histoire, politique, administration, population religions et moeurs, événements de 1860 d'après des actes officiels et des documents authentique,** Amyot (Paris), 1862, p 12-13.

إن التناقض الواضح في أعداد أتباع كل طائفة ومذهب التي أوردتها المصادر والمراجع التي وُظفت في البحث، يعود بالأساس إلى غياب الإحصاء الدقيق لسكان بلاد الشام – على غرار بقية أقاليم الدولة العثمانية – ويمكن تبرير ذلك بعدم امتلاك السلطة آنذاك للآليات التي تسمح لها بإجراء مسح دقيق للسكان، من حيث توزيعهم الطائفي والمذهبي. زيادة على ذلك، لاحظنا أن هناك ميوُلا لدى المصادر الفرنسية التي تناولت وضع بلاد الشام في هذه الفترة الزمنية باتجاه طائفة الموارنة – سواء في الأعداد أوفي تبرير الصراعات التي كانت تندلع بين الحين والآخر بينها وبين بقية الطوائف لا سيما الدروز – وهو واقع فرضته الظروف التاريخية التي تحكمت في الوضع الطائفي والمذهبي في المنطقة، والتي لا تزال تضبط العلاقات الخارجية للطوائف والمذاهب بالقوى السياسية الإسلامية والمسيحية في العالم.